ودون تفكير لكل ما يطلبونه. إن الحد الأدنى من الحفاظ على الخصوصية الوطنية والثقافية يقتضي المراجعة والنظر جيداً فيما يصدر عن المنظمات الدولية، فما يناسب مجتمعاتنا ويساعد المرأة على النهوض نأخذه، أما ما يخالف قيمنا مثل الدعوة إلى إباحة الإجهاض أو قوننة الشذوذ الجنسي والسماح بنشوء أزواج من جنس واحد، فهو شيء مرفوض كلياً ولا يمكن القبول به.

١٣. إنها ظاهرة إيجابية جداً، فالبحث العلمي والتخصص هو الطريق الصحيح لوصول المرأة إلى أهدافها، حيث تقوم هي نفسها بدراسة الظواهر المتخلفة ومحاولة اكتشاف أسبابها وطرق الوصول إلى حلول للمشاكل الإجتماعية التي تعاني منها النساء. على أن تتضافر جهود الباحثات معاً ولا تبقى جهوداً فردية، مهما تنوعت إنتماءاتهن الفكرية ومجالات تخصصهن.

١٤. أظن أن أكبر العقبات في وجه نمو وتطور الحركة النسائية هو النظام الأبوي الذكوري الذي يتغلغل في أعماق مجتمعاتنا العربية ويسود في أوساط الرجال والنساء على حد سواء. ولا يظن أحد أن الدين هو المسؤول عن ذلك بل التفسير الخاطئ للدين والتوظيف السيء للنصوص الدينية في خدمة هذا النظام الذي يعود إلى عشرات القرون والذي يستند إلى الكثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تستعصي على التغيير والتطور إلا بشكل محدود وسطحي في أغلب الأحيان.

١٥. في ظل أوضاع سياسية وعسكرية واقتصادية غير مستقرة في معظم البلاد العربية يصبح الحديث عن المستقبل صعباً. ومع ذلك أرى أن مسألة المرأة تتقدم وإن يكن ببطء، والدليل أن الأجيال الجديدة الشابة (شباناً وفتيات) أصبحت أكثر وعياً بحقوق المرأة وأكثر ممارسة لها. والتحول ينبغي أن يكون لدى المرأة والرجل على حد سواء، ولا يكفي العمل على المرأة وحدها، بل التوعية يجب أن تشمل الجنسين، لأنه لا يمكن عزل قضية المرأة عن قضية المجتمع.

إذا أردت تغيير شيء في الحركات النسائية العربية فهو إفساح المجال لجيل الشباب ليكون له مشاركة ودور، كما إشراك الرجل المتنور والتعاون معه واعتماد الديموقراطية لضخ دم جديد في جسد هذه الحركات التي تعاني الجمود والركود.

سعاد جوزيف

أستاذة علم الإنسان والدراسات النسائية في جامعة كاليفورنيا، ديفيس. عضوة مؤسسة لـ AMEWS (وهو القسم النسائي من MESA) ومؤلفة عدد من الكتب والمقالات حول الجندر، الأسرة والسياسة.

١. ا) للإنجازات مصادر معلومات مختلفة. إنجازات الحركة النسائية العربية متعددة المظاهر، ولكن أبرزها تطور التعليم بين نساء فئة مختارة من المجتمع العربي تطوراً ملحوظاً وامتهان النساء تبعاً لذلك مهناً خطيرة.

ب) الإخفاق: مسؤولية الإخفاق لا تقع على الحركة النسائية وحدها، ولكننا نسطيع أن نقول بشكل عام أنه عدم مساواة النساء في المواطنية فيما يتعلق بحق الاقتراع والترشيح/التعيين في مناصب سياسية عالية، وحق النساء بمنح جنسيتهن لأولادهن وأزواجهن. هذه في رأيي، من اسباب العجز في سن قوانين مدنية للأحوال الشخصية في معظم البلاد العربية. وفي موازاة ذلك نجد مشكلات مواجهة قضايا الفقر/الصحة وتعليم النساء اللواتي لا ينتمين إلى فئات المجتمع المحظوظة.

٢. أولاً، بدأت الحركة النسائية العربية منذ أكثر من قرن ولها تاريخها الخاص الذي كان منذ مدة طويلة على اتصال بالحركات النسوية الغربية. ثانياً، لا ينبغي أن نتجاهل تأثير الحركة النسائية العربية في النسوية الغربية بطرق معقدة. تطورت النسوية الغربية ناظرة إلى الشرق. في مختلف الأحوال والظروف فإن النسوية الغربية حدّدت نفسها بالنسبة إلى نساء العالم الثالث على أنها «الأخرى»، وذلك بأشكال مختلفة. كما بينت ايوا أونغ، لم تحتل في المخيلة النسوية الغربية أية فئة من نساء العالم الثالث ما احتلته النساء العربيات والمسلمات.

ثالثاً، بعض الحركات الواسعة من القرن الماضي يمكنها أن تدعي أنها ذات خصوصية ثقافية صافية. نعيش في عالم معولم تنتقل فيه البضائع والأفكار والناس. وعلينا أن نتساءل لماذا تهتم هذه القوى المحافظة بتأثير الغرب في النسوية فيما يبدون غير مبالين بتأثيره في التكنولوجيا (إذا كان باسطاعتنا أن نقول ذلك بالنسبة لمنتوجات تصنع في جميع أنحاء العالم). يبدو أنهم يتوهمون أن التكنولوجيا بريئة من الثقافة. وتأكيد الصفاء الثقافي إستراتيجية للتحكم بالتجديد والتغيير. ولا ينبغي أن يسمح له بالإستحواذ سلفاً على إقامة حوار وإرتباطات بناءة عبر الحدود الدولية.

٣. الأصولية الدينية آخذة بالإنتشار في جميع أنحاء العالم. وفي جميع أنحاء العالم أيضاً لها ذراع سياسية. وفي جميع أنحاء العالم إنتهكت سلطة الدولة. يكفينا النظر إلى اليمين الديني في الولايات المتحدة وإسرائيل. كون الغرب يركز على صعود الأصولية في العالم العربي وكأنها تمثل وضعاً استثنائياً ذو علاقة وثيقة بسياسة العولمة التي تعرّف الإسلام بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة بأنهما الآخر الشرير. للسلطة إمتياز أن تعرّف العدو وأن تعتبر نفسها منسجمة مع الطبيعة.

وعليه من المهم أن ننظر في الظروف الخاصة التي أدت إلى صعود الأصولية في المنطقة العربية. قدم باحثون عديدون أسباباً مقنعة لصعود الأصولية الدينية: فساد الأنظمة العربية وظلمها؛ إستخدام الثروة النفطية إستخداماً فاسداً؛ إنحياز أنظمة عربية عديدة إلى الغرب إنحيازاً ترفضه فئات كثيرة من شعوبها؛ إنحياز الغرب الجائر إلى إسرائيل التي تُعتبر قوة محتلة؛ عدم الإستقرار الإقتصادي، تنمية إجتماعية متفاوتة، حريات سياسية ضئيلة.

مبدئياً يجب أن تكون لتحرير النساء فسحة داخل الأنظمة الدينية. إعتناق الغربيات المسيحية والنسوية معاً لم يقلق النسويات الغربيات بقدر ما أقلقهن إعتناق عربيات عديدات الإسلام والنسوية معاً. هذا، في حد ذاته، مقلق. تقول نسويات مسلمات كثيرات أن الإسلام يستطيع أن يوفر للنساء حقوقهن، وهذا ما يوفره فعلاً، وعليه لا ينبغي أن تهدد الصحوة الدينية الحركة النسائية العربية. إلى الآن، حيثما استولت الأصولية على السلطة في المنطقة العربية، أو حيث تشكلت كحركة سياسية، توصلت الصحوة الدينية إلى حل وسط فيما يتعلق بتحرر النساء، أو جعلت الكثيرين قلقين بسبب القيود التي رافقت تلك الحريات. فيما يجب أن تتوفر مبدئياً مساحة لتحرير النساء داخل الأنظمة الدينية، نجد أن الطريق الذي رسم لتحرير النساء حتى الآن ضيّق جداً إن لم يكن غائباً بالمطلق.

٤. ليست التعددية حسنة فحسب، وإنما ستحدث بصرف النظر عن حكمنا. ويقلقني أن يصار إلى تأسيس «شرطة أنشطة». يجب أن تعمل النساء حيثما تريد وتشعر أن بإمكانها أن تفعل. من يستطيع أن يحكم على تأثير تنوع الأعمال على الأمد البعيد؟ ما تبدو الآن تصرفات بسيطة قد يكون لها نتائج سياسية بعيدة المدى وبالغة الأهمية.

٥. يجب أن يظل القانون العائلي من أولى أولويات الحركة النسائية العربية . إنه على الساحة السياسية السبب في معظم القيود القانونية المفروضة على النساء. إفتقار النساء إلى المواطنية الكاملة مرتبط بأشكال تحديدهن في القانون العائلي كتابعات لأقاربهن الذكور؛ وعدم مساواتهن إقتصادياً يعلل منطقياً بناء على دورهن في العائلة (المبني على اعتبار التبعية)؛ وتحكم رجال دين ذكوريين بهن مرتكز على سلطة المؤسسات الدينية في قوانين العائلة.

٦. لقد باشرت الحركة النسائية العربية التشبيك مع حركات نسائية في «الشرق» و«الجنوب». وهذا ليس مهماً فقط بالنسبة للبحث عن نماذج وإستراتيجيات مختلفة لنيل حقوق النساء، ولكن أيضاً بالنسبة لتغيير إجتماعي عام. في عالم معولم ليس فيه إلا قوة عظمى واحدة أتيح للذين خارج مساحة السلطة خياران: الإنحياز إلى مركز السلطة أو الإنحياز إلى الذين خارجها. وعدم الانحياز كان في حد ذاته استراتيجية للمناورة. عالم ثنائي القطب («نحن» في مقابل «هم») ليس عالماً أفضل. ولكن حين تفرض مراكز السلطة هذه الخيارات الثنائية، يستطيع هؤلاء الذين تهمشهم السلطة أن يتنازلوا عن السلطة أو أن يخترعوا أحلافاً جديدة للسلطة.

٧. لا تختلف الحركة النسائية العربية عن الحركات النسائية في معظم أنحاء العالم التي استقطبت بالدرجة الاولى نساء الطبقات المتعلمة. وليست فريدة في هذا الصدد. ولكنها اختلفت في البلاد التي فيها إتحادات نسائية مناضلة تدعمها الدولة. ما يحول دون امتداد النضال في سبيل حقوق النساء إلى طبقات اخرى هو أن النضال السياسي، أياً كان نوعه، قد يكون ترف الفراغ وميزة حركات تاريخية معينة. كذلك لا تتهافت الطبقات الإجتماعية الأخرى على الحركات العمالية. الحركات الدينية هي التي أحرزت اجمالاً تأييد الطبقات الأخرى وانضمامها إليها. ولكن حتى هنا لم يشع الإنضمام بمعنى المشاركة «الفعالة» في الحركة. فضلاً عن ذلك، فإن النساء اللواتي يكافحن لإطعام أسرهن وإبقائها على قيد الحياة كثيراً ما يشعرن أن قضايا الجندر ثانوية بالنسبة للقضايا الإقتصادية والسياسية والصحية. حتى النسويات الغربيات يناضلن لربط القضايا الإقتصادية والسياسية والصحية بقضايا الجندر بالنسبة للنساء من الطبقات المحرومة.

٨. كما أشرت سابقاً، كثيراً ما تكرر الحركات النسائية العربية في داخل منظماتها النسوية بنى مجتمعاتها الهرمية ، لسوء الحظ.[١] أن يناضلن لحرية النساء وحقوقهن من غير أن يمارسن ذلك داخل منظماتهن يبيّن أن النضالات تجري داخل الحركة فضلاً عن خارجها.

٩. عضوات الحركة النسائية العربية يناضلن فعلاً لتغيير العلاقات في مجتمعاتهن وأسرهن. ولكن غني عن القول أنهن بحاجة إلى المزيد من العمل. أشرت في موضع آخر إلى تردد النسويات العربيات في تناول موضوع الأسرة كقضية تبيّن عدم المساواة.[٢] بمعنى ما، تناول الأدباء قضايا الأسرة بطريقة مأساوية في الروايات والأفلام والمسرحيات أكثر مما فعلت الحركة النسائية، من حيث هي «حركة». يعود هذا التردد إلى حد إلى غياب بديل للعائلة قابل للتطبيق في المجتمعات العربية (غير البدائل الدينية) نظراً إلى تحفظ الكثير من الحكومات العربية وعجزها أو قمعها. التعاطي مع موضوع الأسرة في المجتمع العربي يختلف كل الاختلاف عن طريقة التعاطي معه من قبل النسويات الغربيات في المجتمعات الغربية. وخصوصية هذا التعاطي تتبلور الآن.